راحت فيدرا
وجاءت أنتيجون !

العقل أم العاطفة ؟ الحق أم الواجب ؟ القانون أم العرف ؟ الأمة أم الأسرة ؟ الوطن أم المواطن ؟

هذه كلها أطراف ، يقف كل منها على النقيض من الآخر ، ولكنها فى مجموعها تشكل الإنسان . الإنسان الذى تتلامس فيه الأطراف ، وتتلاقى عنده المتناقضات ، فيعانيها فى ضميره ، ويعايشها بتفكيره ، ثم يخرج من مرحلة المعاينة والمعاناة إلى مرحلة الاختيار والتقرير ، ومن هذه المرحلة إلى مرحلة النزوع والفعل . وعلى هذه المرحلة الأخيرة يكون الحكم على الإنسان ، أو على أفعال الإنسان ، فالإنسان هو مجموعة أفعاله كما يقول الوجوديون .

وقد يبدو يسيراً من الناحية النظرية أن نؤثر العقل على العاطفة ، وننتصر للحق على الواجب ، ونغلب صالح الوطن على مصلحة المواطن . ولكن إذا نشأ التعارض ونشب الصراع ، فكم يصبح عسيراً من الناحية العملية أن نسلك أو نفعل ، بناء على هذا الاختيار أو القرار !

على أن هذا الموقف فى النهاية وكما يقول « الدكتور زكى نجيب محمود » هو المقياس الذى نستطيع أن نقيس به أنفسنا ، إن كنا لانزال بدائيين فى عواطفنا

وسلوكنا ، أو كنا قد قطعنا شوطاً طويلا فى طريق المدنية والحضارة .

وإذا كان الفن كما يقول « **أرسطو** » هو الإيهام ، الإيهام بأن مايحدث أمامك فوق المسرح قد حدث فعلا أو يمكن أن يحدث ، وإذا كنت تريد أن تختبر نفسك ، وتمر بهذا الامتحان ، لتعرف أين تقف من سلم الحضارة فإليك هذه المسرحية (**أنتيجون**) التى يعرضها المسرح القومى .

على أنها ليست (**أنتيجون**) « **سوفوكليس** » ، أو تلك المسرحية التى أنشأها الكاتب الإغريقى القديم ، ولكنها (**أنتيجون**) « **جان أنوى** » أو المسرحية التى كتبها ذلك الكاتب الفرنسى المعاصر .

وكائناً ماكانت نظرة كل منهما إلى (**أنتيجون**) فإذا كانت (**أنتيجون**) « **سوفوكليس** » قد نذرت للعذاب والموت لأسباب تتعلق بالوراثة ، أو لأنه قدر أرادته لها الآلهة ، وكانت (**انتيجون**) « **جان أنوى** » تنذر لها لأسباب تتعلق بشخصيتها هى ، لأنها بمحض حريتها اختارت هذا المصير ، فالأسباب هنا لاتهمنا ، وإنما الذى يهمنا الآن هو موقفنا نحن من (**أنتيجون**) لنسأل أنفسنا بعدها ، هل نشعر نحوها بالسخط والغضب ، أم نشعر بالعاطفة والإشفاق ؟ فإذا كان الثانى هو شعورنا ، فلا شك أننا لانزال نعيش شعوراً ووجداناً فى المرحلة البدائية .. ولم نبلغ شيئاً من المدنية والحضارة ؟

ولكن قبل أن نحدد موقفنا من (**أنتيجون**) ، أليس من حقنا أن نسأل ماهى حكاية (**أنتيجون**) هذه ؟

هؤلاء الأشخاص سيقومون أمامكم بتمثيل (قصة أنتيجون) .

بهذه الكلمات الصريحة المباشرة ، تبدأ (مسرحية أنتيجون) ، تبدأ بعد ما يرفع الستار عن ديكور تجريدى خالص ، فكل شىء غارق فى اللون الأبيض ليدل على

أننا بعيدون عن حدود المكان ، بعيدون عن حدود الزمن . المهم هنا هو العنصر الإنسانى ، والعنصر الإنسانى فقط !!

وهؤلاء الأشخاص الذى سيقومون أمامنا بتمثيل قصة (**أنتيجون**) يتواجدون جميعاً على المسرح ، بطريقة لاينتظمها وضع معين ، وينتزع أحد الأشخاص نفسه من بين المجموعة ويتقدم إلى الأمام قائلاً هذه الكلمات التى يفتتح بها المسرحية ، ثم يأخذ بعد ذلك فى عرض الحدث الدرامى ، وتعريف الجمهور بشخصيات المسرحية .

« **أنتيجون** » هى الفتاة الصغيرة النحيفة التى تجلس هناك ولا تقول شيئاً على الإطلاق ، إنها تحدق بناظريها إلى الأمام .. إنها تفكر .. تفكر فى أنها على وشك أن تصبح « أنتيجون » ، وفى أنها ستظهر فجأة على أنها الفتاة النحيفة السمراء ، المنطوية على نفسها ، التى لايهتم بها أحد من أفراد الأسرة ، تقف وحدها فى مواجهة الدنيا بأسرها ، وحدها فى مواجهة (**كريون**) الذى هو خالها ، وهو الملك فى وقت واحد . إنها تفكر .. تفكر فى أنها ستموت ، وفى أنها صغيرة ، وتود أن تعيش ولكن .. ليس هناك مفر .. فاسمها (**انتيجون**) وعليها أن تؤدى دورها حتى النهاية ..

وفى هذا الإطار الوضعى الجديد ، الذى يجرى فيه التعليق على المسرحية ، يتم تشكيل الشخصيات ، كما يتم تشكيل الحدث . وما إن ينتهى المعلق من حديثه ، حتى يكون جمهور النظارة قد تعرف على كلا البعدين . إننا نتعرف على (**اسمين**) ، شقيقة « **أنتيجون** » ، فإذا هى فتاة غضة ، فيها طراوة الأنثى اللعوب ، تتحدث وتضحك ، تغنى وترقص ، أما « **بولينيس** » فشاب حدث يتردد على البارات ، ولا مانع عنده من التسكع فى الطرقات ، والوقوف على الناصية ، وأما « **هيمون** »

فرجل شهوانى ، أو هو جنسى إلى أقصى حد ، يراقص « **أسمين** » حتى الفجر ، ثم يعود إلى « **انتيجون** » مع مطلع النهار .

والآن ، وقد تعرفتم عليهم جميعاً ، فسيكون بإمكانهم أن يقوموا بتمثيل القصة ، وتبدأ القصة فى اللحظة التى تقاتل فيها « **ايثوكليس** ، **وبولينيس** » ابنا « **أوديب** » ، تقاتلا حتى الموت تحت أسوار المدينة ، وكان على كل منهما بالتناوب أن يحكم « **طيبة** » لمدة عام .

ويتراجع المعلق حتى يختفى عن الأنظار ، وتغادر الشخصيات المسرح ، حتى تتغير الإضاءة ، ثم يبدأ أشخاص المسرحية فى الظهور على المسرح ، كل بحسب دوره المرسوم له فى مجرى الحدث .

والحدث عادى جدًّا ، ومعروف لدى الجميع ، جميع المثقفين بطبيعة الحال « **ايثوكليس ، وبولينيس** » أخوان ماتا معاً وفى يوم واحد ، أما الأول فقد أجيز لجثمانه أن يوارى فى التراب ، وأن يؤدى إليه من الواجبات الدينية مايسر نفوس الموتى ، لأنه جادَ بنفسه فى سبيل وطنه ، وأما الآخر ، فقد أمر الملك « **كريون** » ألا يدفن ولا يبكى ، وأن يترك نهبًا لسباع الطير ، وذلك لأنه ناصر أعداء وطنه . ويجىء النبأ إلى أختيهما « **أنتيجون** » فماذا تصنع ؟

إن رابطة الرحم التى تربطها بأخيها « **بولينيس** » تقضى عليها ألاّ تترك جثمانه فى العراء ، بغير أن يقبر أو تؤدى له فروض الموتى ، لكن هذا هو أمر الملك . والملك هو الدولة ، وأمره هو صالح الأمة ، وأمره صريح ، إن من يحاول دفن ذلك الشقى الآثم ، سيلقى أقصى أنواع العقاب ، وسط أبناء المدينة ، وينبذ من جميع المواطنين .

والسؤال الرئيسى الذى يقفز إلى الأذهان هو .. هل تغير ماسوف يطرأ على

الموقف الصارم الذى اتخذه الغريمان .. « **كريون** ، **وأنتيجون** » .. فلا هى تريد أن تتنازل ولا هو يريد أن يتسامح ؟ ومن هنا كان المشهد الرئيسى ، هو هذا الذى تتم فيه المواجهة بين « **كريون** ، **وأنتيجون** » ، هى تصر على محاولتها لدفن شقيقها ، وإن أسلمت حياتها تبعاً لذلك للقانون ، وهو يصر على مفهومه عن النظام ، ولا يهمه أى الجسدين يترك نهباً لسباع الطير ، وأيهما يدفن فى رحاب الدولة .

« **كريون** » يمثل رجل الدولة المشغول بالمحافظة على الحق والنظام ، مهما كلفه ذلك من ثمن ، و « **أنتيجون** » هى الإنسانة الوفية ذات الإرادة الحرة ، التى تحافظ على العرف والواجب ، مهما كلفها ذلك من ثمن .. وبين الاثنين ينشأ الصراع ، وتدور الملاحاة .

كريون : ليس من أجل الآخرين ، ولا من أجل شقيقك ، من أجل من إذن ؟

أنتيجون : من أجل نفسى ، من أجلى أنا وحدى .

وبعد ذلك يجرى الحدث وفقاً للإيقاع التراجيدى الحزين كما هو معروف حتى النهاية ، وتدخل الجوقة لتذكر الجمهور بالصمت الذى ران على كل شىء ، ذلك الصمت التى تجيد الجوقة فن إلقائه ، بعد أن تقول لهم : « **لقد قضى الأمر .. لقد قضى الأمر ..** »

تلك هى مسرحية (**أنتيجون**) « **لجان انوى** » التى استطاع الكاتب من خلالها أن يطرح قضية من أخطر قضايا الوجود البشرى .. قضية التضحية بالذات من أجل الواجب ، من أجل العرف ، من أجل شرف الأسرة ، قضية رفض السعادة التى تقوم على أشلاء الآخرين . ولكن « **جان أنوى** » إذ يطرح هذه القضية فى منتصف القرن العشرين ، إنما يطرحها على مستوى حرية الاختيار الإنسانى ، لا على مستوى

القدر الإلهى المحتوم ، تماماً كما فعلت باقى شخصيات « أنوى » ، كما فعلت « أيريديس » ، وكما فعلت « ميديا » ، وكما فعلت « جانيت » ، وكما فعلت « تيريز » المتوحشة ، والذى يعنينا الآن هو استضافة المخرج المسرحى الشاب « سناء شافع » لهذا النص فوق خشبة المسرح .

ولعل أهم مافى إخراج « **سناء شافع** » ، هو فهمه للنص وتفهمه لأبعاده الدرامية وزواياه الإنسانية ، وتقديمه دونما حذلقة أو إبهار ، ومن هنا كان النص هو البطل الحقيقى فوق المسرح . وفى الوقت ذاته عرف المخرج كيف يجسد مافى النص من درامية وشاعرية ، ليخرج من درامية الحدث وشاعرية الحوار ، بذلك المستوى من القصيد المسرحى الذى افتقدناه من زمان ، حيث تتكامل العناصر البشرية ممثلة فى الأداء التمثيلى ، مع الأطر المادية ممثلة فى الديكور والإضاءة ، مع الغلالة الفنية ممثلة فى الموسيقى التصويرية والرقصات التعبيرية ، وإن كنت لا أجد مكاناً فى العرض لتلك اللوحة الشعرية التى صاغ كلماتها الشاعر « **كمال عمار** » ، والتى برغم عذوبتها وروعة تسجيلها أداءً وتشكيلا ، إلا أنها كانت خارجة عن العمل أو مقحمة عليه من الخارج . كذلك لم تكن الرقصتان التعبيريتان اللتان قامت بتصميمها « **هالة سرحان** » ، على درجة من وضوح الإضاءة وبروز المعنى بحيث تصلان إلى الجمهور ، وخاصة رقصة الدفن الأولى ، وإن أحسسنا فى الرقصتين معاً برشاقة الخطوات وجمالية التكوين .

أما الديكور المسرحى الذى قام بتصميمه الفنان « **زوسر مرزوق** » ، فلا شك أنه كان أبرز الأطر المادية فى العرض كله ، فقد جمع إلى جماليات التشكيل ، دلالات التعبير ، وإلى توظيف المستويات والمساحات - فضلا عن الكتل والفراغات - تضفير هذا كله فى وحدة تشكيلية متكاملة الأبعاد ، متجانسة

الإيقاع ، وإن كنت أرى أن مستواه فى تصميم الأزياء أقل بكثير منه فى تصميم الديكور ، فالأزياء كانت خليطاً من الإغريق والرومانى ، واللمسة العصرية فى الأزياء لم تكن بارزة بما فيه الكفاية ، وكنت أتخيله يقدم مزيجاً من الإغريق والعصرى فقط ، أو من اليونانى الحديث ، ولا أدرى لماذا اختار الأبيض الفاقع زيًّا « **لأنتيجون** » والبنفسجى الغامق زيًّا « **لأسمين** » ؟ كما لا أدرى أى زى هذا الذى كان يرتديه « **كريون** » ؟ .

أما موسيقى الفنان « **جال سلامة** » ، فكانت موفقة إلى حد كبير ولا أقول إلى أقصى حد ، كانت موفقة فى الافتتاحية ، افتتاحية الفصلين الأول والأخير ، حيث انسابت الموسيقى مع الإيقاع التراجيدى الحزين ، وكانت موفقة فى الرقصتين التعبيريتين ، حيث تلاقت عذوبة الجملة الموسيقية مع رشاقة الخطوة التعبيرية ، أما إيقاعات الطبول التى استخدمت خلفية لحوار الممثلين ، فكانت تائهة بين الإيقاعات البدائية والطبول الإفريقية ، ولا أدرى لماذا لم تستخدم الإيقاعات اليونانية الحديثة ، تأكيداً لما قصد إليه « **جان أنوى** » من تعصير الأسطورة ، وتقديمها فى زى عصرى فوق المسرح ؟

وأما عن الأداء التمثيلى ، فقد توافرت له نخبة ممتازة من المسرح القومى ، فى طليعتها العملاق « **حمدى غيث** » الذى يذكرنا فى دور « **كريون** » بأمجاده القديمة فى الأدوار التراجيدية ، لقد جمع فى هذا الدور بين عقلانية التعبير المسرحى ، وفخامة الحضور التمثيلى ، واستطاع أن يكون كالمايسترو الذى يقود زمام العمل كله ، لقد كان درساً بالغاً وبليغاً فى التلوين الصوتى ، والأداء الحركى ، والتعبير لا بعضلات الوجه ، ولا بحركات اليدين . ولكن بالجسد البشرى كله .

أما الجوهرة السمراء « **فردوس عبد الحميد** » فقد كانت تجسيداً رائعا ومروعاً

لدور « **أنتيجون** » قدرة على التمثل ومقدرة فى التشيل ، تميز فى التعبير الصوتى وامتياز فى الاداء الحركى ، كانت كتلة بشرية حية قادرة على ملء فراغ الساحة المسرحية ، إنها أمل كبير للجيل المسرحى الجديد ، الذى يستطيع بجدارة أن يحتل الصفوف الأولى ، وأن يثبت قدرة هذا الجيل على العطاء ، فإذا كانت « **فيدرا** » قد راحت ، فقد جاءت « **أنتيجون** » .

كذلك كانت « **فاتن أنور** » فى دور « **أسمين** » ، واحدة من فتيات هذا الجيل ، القادرات على العطاء ، وعلى التقدم بخطى سريعة إلى الأمام ، وربما كان أهم مايميز هذه الفنانة الواعدة تمثلها لفن الأداء لدى الممثل الحديث ، وقدرتها على التعبير عن هذه المدرسة ، لقد كانت نِداً فى دور « **أسمين** » رغم صغر مساحة هذا الدور .

أما « **رشدى المهدى** » فى دور « الحارس » ، فكان غاية فى التوفيق ، وكان إشعاعة الأداء الكوميدى فى العرض المسرحى . ولكنها الكوميديا النابعة من الكلمة ، المعبرة عن الدور ، دونما تزيُّد أو افتعال ، سواء فى التعبيرات أو فى الحركات .

وأخيرا يجىء الممثل « **نبيل الحلفاوى** » فى دور من أصعب الأدوار المسرحية ، إنه دور « الراوى » ، وفى ذات الوقت دور « المعلق » ، وكذلك هو دور « الجوقة » ، ثم هو بعد ذلك كله مشارك فى الأحداث ، ولكنه برغم مابذل من مجهود واضح فى الوفاء بهذا الدور المركب ، لم يبين لنا أين يقف الراوى ليبدأ المعلق ، ومتى تنتهى الجوقة فيأخذ الممثل دوره فى الأحداث ، كان يؤدى كل هذه الأدوار بنغمية واحدة ، وحركية واحدة ، فضاعت معالم الدور ، وبدا الدور مسطحاً بلا أعماق .

عموماً كانت مسرحية «**أنتيجون**» عملا مشرفاً للمسرح القومى ، ولجيل جديد من فنانى هذا المسرح ، يستطيع أن يحتل الصفوف الأولى ، ويثبت قدرته على العطاء ، وعلى أن الفن المصرى لا يموت بغياب فنان أو آخر ، وإنما هو يبعث من جديد ، ليكتسب حياة فوق حياة .

obeikandl.com